من تأملات أغسطينوس

إلهي أعترف لك

كنيسة مارجرجس - سبورتنج

من تأملات أغسطينوس

إلهي أعترف لك

ترجمة: بانوب عوض

مترجمة عن: Soliloques de Saint Augustin ou l'Entretien de l'Ame Avec Dieu.

كنيسة الشهيد مارجرجس - سبورتنج

اسم الكتاب: إلهي أعترف لك.

ترجمة: بانوب عوض.

الناشر: مكتبة كنيسة الشهيد مارجرجس - سبورتنج.

جمع تصويري وفصل ألوان وطباعة:

مطبعة دير الشهيد العظيم مارمينا العجائبي بمريوط.

موبايل: ٠١٢ ٢١٥٢٨٥٦ & تليفاكس: ٠٣ ٤٥٩٦٤٥٢



قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٧

✠

بِاسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد. آمين.

مقدمة

حياة التأمل كادت تُفقد في القرن العشرين. فقراءة الكتاب المقدس والصلوات تؤدّى بدون تأمل - وهذا كله جعل حياتنا تتصف **بالسطحية**. لذلك لا نعجب أن نجد إنسانًا من صفوف العابدين يسلك سلوكًا عالميًا.

يقع على **الأرض المحجرة**. الذي سرعان ما نبت. وما أن أشرقت الشمس حتى يجف من أصوله، كالذين يقبلون الكلمة بفرح وحالاً ما تجف في حياتهم.

إذن حياة التأمل ضرورة مُلحّة للمؤمن، عليه أن **يتدرب عليها** فيخصص وقتًا هادئًا للتأمل في كلمة الله، ويستخدمها وينفذها في حياته " **وفي ناموسه يهذ (يلهج) نهارًا وليلاً** " (مز ١). بل إن كلمة اللّه ينبغي أن تكون طعام المؤمن يجتر فيها " **خُذْه وكُلْهُ فسيجعل جوفك مُرًّا، ولكنه في فَمِك يكون حلوًا كالعسل** " (رؤ ١٠: ٩). إن المتأمل في كلمة الله يكشف عن مرارة خطايانا ثم يكسب فمنا حلاوة أشهى من العسل، عندئذ تتحول كلمة اللّه إلى روح وحياة.

وحياة التأمل تحتاج إلى فترة هدوء. لأن روح اللّه ساكن داخلنا، وبقدر ما تهدئ نفوسنا بقدر ما نسمع صوت اللّه قارعًا على قلوبنا ... إن ضجيج العالم ومشاغله أكبر عقبة في اكتشاف هذا الكنز المخفي داخل قلوبنا. حدد لنفسك وقتًا تجلس مع نفسك، ومع الإنجيل ... ليس لتدرسه بعقلك ولكن **ليعلمك** روح اللّه ما في الإنجيل. درب نفسك على محبة الجلوس **مع اللّه أكثر من الناس** ... الناس بأحاديثهم ومجاملاتهم وكتبهم وفلسفاتهم ووسائل أعلامهم. تأكد تمامًا أن عدو الخير يسمح لنا بسماع العظات الكثيرة ولكن لا يسمح لنا بالجلوس مع نفوسنا ومع اللّه.

في أي شيء أتأمل؟

١. في خطاياي. في فلتات اللسان والثعالب الصغيرة الساكنة في قلبي.

٢. في محبة اللّه (الابن الضال)... في كثرة احساناته، في رحمة اللّه بالبشرية، في التجسد، في الفداء، وفي الصليب.

٣. إلى أي حد أنفذ وصايا يسوع كإعلان عن محبتي؟

٤. إلى أي حد أنا أختبر حياة الموت مع المسيح؟

٥. إلى أي حد أنا أختبر حياة القيامة مع المسيح؟

٦. في أي درجة من درجات التوبة أنا أعيش؟

٧. ما مدى اشتياقي للسماء والخلود مع المسيح؟

٨. ما هيَ درجة إحساسي بالغُربة في العالم؟

٩. هل أعيش في نقاوة القلب لأُعاين اللّه؟

١٠. اختر لنفسك آية يومية وحاسب نفسك على مدى تطبيقها.

✠ أن أكبر عقبة في حياة التأمل اليوم هيَ عدم تقديرنا:

١. للزمن الذي نصرفه بلا حساب فيما لا ينفعنا.

٢. في قيمة نفوسنا التي مات المسيح من أجلها وأعد لها حياة أبدية ... ونفس الآية القائلة "ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه".

وهذه بعض تأملات لرجل عاش في العالم إلى أقصى حدوده ثم اكتشف حياة التأمل وأهميتها ... فعاش أغسطينوس يُخرِج لنا دُررًا وعتقاء من كنوز تأملاته. الرب يجعلها بركة لمن يقرأها. آمين.

القمص بيشوى كامل

أخيرًا وجدتك

كم كانت نفسي جزعة يا إلهي، وأنا كحمل ضال، حينما بحثت عنك بعيدًا بينما كنت **في داخلي!**

وكلما جذبتني إليك نفسي أواصل البحث عنك، بدوافع رغباتي، بينما **أنت ساكن في قلبي!**

أخذت في البحث عنك في كل مكان ... في الأحياء، في الطرقات العامة من مدينة هذا العالم ولم أهتَدِ!

ونظرت من حولي، وفي قصور وجهل، سألت رفاقي **عن كنز مخبأ في قلبي!**

وأطلقت لجميع حواسي العنان، كرسل أوفياء، لتبحث عنك وتطاردك ... وبقوتها لم تستطع أن تلحق بك وتدركك وقد تملكتها الدهشة كيف اقتحمت يا إلهي قلبي ودخلته!!

قالت العين:

لو كان ذا لون لرأيته كيف جاز.

قالت الأذن:

لو كنت سمعته لعرفته من وقع أقدامه.

قالت الأنف:

لو تنسمت رائحته لتأكدت من وجوده.

أجاب اللسان:

لو استطعت أن أتذوقه لعرفته من طعم مذاقه.

أجابت اليد:

لو كان ذا جسد لاستطعت أن أتحسسه ... ولكن إلهي كان غير ذلك كله .. ليس جسمًا كاملاً جميلاً،

ولا وجهًا وضّاءً منيرًا،

ولا نورًا يبهر البصر،

ولا ترنيمة لها صدى ونغم،

ولا زهرة ولا دهنًا،

ولا عسلاً ولا منًا،

ولا طيبًا غالي الثمن،

ولا شيئًا تتوق النفس أن تتملكه.

فإن بحثت عنك يا إلهي فلن أستعين بحواسي.

إذا بحثت عنه فإني أبحث عن نور لم تره عين.

وصوت لم تسمع به أذن.

عطر فائح لن يقوى الأنف على أن يتنسمه.

عذوبة تامة لن يستطيع اللسان يُعبِّر عنها.

تآلف حقيقي يتمنى الإنسان لو يحققه.

نور يضيء كل الأبعاد.

كائن فوق حدود الزمن وسرعته.

عطر قوي لن تستطيع الرياح أن تبرد رائحته.

مذاق حلو لمن يتذوقه.

اتحاد وثيق لن تنقطع أوصاله.

... إنه اللّه الذي أحبه وأبحث عنه.

ولكن ... لقد بدأت أحبك بعد أن طال بي الوقت.

رحت أبحث عنك وأخيرًا وجدتك.

كنت معي ولم أكن معك **فقد شغلتني عطاياك عن محبتك.**

سألت الأرض وكل ما تحمله من فوقها.

هل أنت إلهي؟ فقالت: لا.

سألت المياه وكل لججها وما فيها.

فأجابت: لست إلهك، ابحث عنه في العلاء.

سألت نسمات الهواء ... فردت على الفور: لا تنخدع إني لست ربك.

سألت السماء والشمس والقمر والنجوم، فصاحت: لسنا إلهك.

فقلت لها: أفلا تخبريني إذن عنه؟!

فهتفت كلها في صوت واحد: إننا صنع يديه.

" لأن أُمُـورَهُ غـيرَ المنظـورة تُـرى منـذ خلـقِ العَـالم مُدركـةً بالمصنوعات " (رو ١ – ٢٠).

وعدت أسأل نفسي من جديد. من أنا؟ إنســان، مخلــوق، عاقل وفانٍ.

ما أصل وجودي وسر بشريتي؟ من أين وجدت ما لم تكن خالقي ... بك أحيا، بك الخليقة!

أنت الإله الحقيقي وليس أحد سواك ... كائن منــذ الأزل العظيم الحي ... غير المُدرك ... لا يُحصــى ولا يُحـد ... لا ينقص ولا يتغير ... عجيب في أعين الملائكة. ترتعد أمامه القوات. لا يُنطَق به. قوي. مستقل بذاتــه. صــوّر الكائنــات العاقلة وغير العاقلة.

ربي اشرح لعبدك الذي يتوسّل إلى رحمتك. عرِّفه من أين له حياته. ألست أنت مصدرها؟ أليس بك وحدك يحيا الإنسان؟ ألست ينبوع الحياة وواهبها؟!

أنت خالقي وأنا جُبلَتك. يداك تفضلتا وصنعتاني وكونتاني. عاونتني على أن أعرفك وأعرف نفسي.

وعندما عرفت نفسي عرفتك أيضًا لأن معرفتي لك نــور لسبيلي.

كما أن الشر حرمان من الخير فإن الظلمة حرمــان مــن النور. ربي أشكرك ... لقد ملأت قلبي من أنوارك ... ألست أنت ملك الملوك ورب الأرباب؟!

"... الذي وحدَهُ له عدم الموت، ساكنًا في نور لا يُدنى منه، الذي لم يَرهُ أحدٌ من الناس ولا يَقدر أن يراه، الذي له الكرامة والقُدرة الأبدية. آمين" (١ تي٦: ١٦).

ألست الإله العظيم المتجسد الذي ظهر في صورة بشرية غير مدركة!؟

اللّه لم يره أحد قط (يوحنا١).

كيف نعرف ما لم نكن قد رأيناه؟

ليس أحد يعرف الابن إلا الآب.

ولا أحد يعرف الآب إلا الابن (متى١١).

ثالوث في وحدانية تامة، في ذاته الكمال المطلق والمعرفة.

قلتُ لنفسي: يا له من إنسان شبيه بالعدم قد تجاسر وعرفك!

أليست هذه المعرفة انعامًا منك يا إلهي؟

لا حمدًا يوفي نعمك.

ولا قدرة تصوِّر جلالك.

عظيم وعظمتك لا تُقارَن.

لا بداية ولا نهاية.

مُسبَّح وممجَّد إلى الأبد.

تعلو كل المخلوقات.

لا يجرؤ إنسان أن يقترب من بهائك. ولا تستطيع الأنظار أن تكشف أغوار ضيائك لأن لمعانك يبهرها.

العقل البشري لم يصل إلى الاتساع الذي يفهم فيه كل شيء عنك.

تلك هيَ سماؤك يا إلهي وفيها مجدك وبهائك.

سماء السموات لإلهنا **"الرب عال فوق كل الأمم. فوق السموات مجده. مَنْ مثل الرب إلهنا الساكن في الأعالي؟ الناظر الأسافل في السموات وفي الأرض"** (مز١١٣ : ٤ – ٦).

أيها الثالوث الأقدس: كمال واحد.

وحدة عجيبة لا تتجزأ.

تعدد يتخطى حدود العقل.

حكمة لا تُدرك في مقاصدها.

جوهر واحد يفوق حد الوصف يسمو فوق العقل والفكر.

يعلو كل فهم وإدراك الملائكة والبشر.

من أين لي أن أعرفك يا إلهي مالك السموات والأرض؟

لا الشاروبيم ولا السيرافيم يعرفونك تمام المعرفة.

من بهاء عظمتك يسترون وجوههم.

عند أقدام عرشك يصيحون قائلين: قدوس قدوس قدوس السماء والأرض مملوءتان من مجدك.

ويل لي ...لأني تكلمت وأنا نجس الشفتيْن.

لكن ويل لمن لا يتكلم عنك.

لن أكف عن الكلام ..

أشيد دائمًا بنعمك واحساناتك ... لأنك خلقتني وأضأت فِهمي وبفضل أنوارك وجدت نفسي وعرفتها ووجدتك وعرفتك.

ولكن بأية كيفية توصلت إلى علم معرفتك ما لم تكن أنت قد أعطيتني هذه المعرفة!!

أنت النور الذي أنار حياتي.

لا تصرف وجهك عني حتى لا أموت.

دع هذا التراب يشدو برحمتك واحساناتك.

سأتكلم يا إلهي برغم أني رماد.

من عمق شقائي وباسم احساناتك أضرع وأتوسل.

ألم يكن صوتك يَدوي من قبل مثل الرعد في أذن قلبي حتى قصف بسمعي وسمعت بعده كلماتك وتفتحت عيناي على أضوائك وقت أن عرفتك أنك أنت إلهي!

مضى زمان ولم أعرفك. ويل لهذا الغباء الذي حرمني من رؤياك!

كنت أعمى وأصم وعشت في رعب ... ورغم دمامة قلبي كنت واحدًا من خليقتك الذي كونته في حُسن وإبداع!

كنت معي ولم أكن معك.

كلما ابتعدت عنك زدت تعلقًا بك ... رأيتك وأحببتك.

لا يستطيع أحد أن يحبك ما لم يرك ولا يراك أحد إلا وأحبك.

لماذا تباطأت حتى تملك على قلبي.

انسَ يارب الأيام التي عشتها وكنت بعيدًا عنك محرومًا من محبتك!

عرفتك وأحببتك

إلهي ... عرفتك لأنك قد عرفتني، وأحببتك لأنك أحببتني.

قوة روحي! أظهِرْ لي ذاتك أيها المعزي لتستمتع بأنوارك عيناي.

مسرة روحي! اقترب مني لترتوي من ينبوع محبتك نفسي لأن فيك مواساة قلبي. شوقني لحبك فأنت حياتي.

التفت إليَّ لأنك غاية مسرتي.

منك راحتي، حياتي وكل مجدي.

أ أستطيع الوصول إليك؟

ألست أنت مقصدي؟

اجعل لي نصيبًا معك لأنك مرامي.

أيها العريس السماوي لا تبعدني عنك إذا ما اقتربت منك وطوقتك بذراعي.

ترتعد نفسي وكياني لوجودك في داخلي.

اجعل لي نصيبًا وميراثًا في ملكوتك الأبدي.

أحبك يا ربي، قوتي، وصخرتي، حصني ومنقذي.

إلهي ...أنت معيني، حصني المنيع، ملجأي الأمين في كل شدائدي.

حياتي، حارسي، عوني، عزائي في يوم ضيقي.

ليتني ألتصق بك أيها الصالح وحده، فبدونك لا يكون صلاح.

افتح أعماق أذني لأصغي تمامًا إلى كلماتك المحيية فتخترق سمعي.

كلماتك سيف ماضٍ.

إلهي ... اجعَل تلك الكلمات تدوي كالرعد فتذيب الأرض وكل ما تحويه ... والبحر وملؤه يعج.

بدد يا ربي بأنوارك ظلام عيني. احفظهما من كل بُطل.

ضاعف من رعودك حتى تتلاشى خيالاتها ... أظهِر لهما ينابيع المياه وأساسات الأرض ... انزع منهما غشاوتهما لتبصرا بهاءك ... أيها النور الذي لا يُدنى منه.

هب لي حاسة جديدة لتشم رائحة وجودك الزكية فتجذبني وراءك.

نقِّ يا ربي حواسي واجعلها جديرة بأن تتذوق وتحس حلاوة اللذة لكل من يريد أن يرتشف من رحيق احساناتك.

اجعلني شغوفًا بك على الدوام.

اعطني قلبًا ينبض بحبك.

نفسًا تشتهيك.

روحًا يتعلق بك.

قدرة تسبر غور أسرارك.

وعقلاً يفكر فيك دائمًا ويتحد بحكمتك ويعرف كيف يحبك أيها الحب الزاخر بكل حكمة.

أمدك يا ربي أدين لك بالحياة.

أنت حياتي وبدونك أنا هالك.

بك أمتلئ فرحًا ... وبدونك أعيش يائسًا عديم الرجاء.

أنت ينبوع الحياة ... لا شيء في الوجود يعادل رقتك وحنانك.

أنت الذي يكمن فيك الحب والكمال.

حلاوة عشرتك شغلي الشاغل.

يا نجدتي كيف لا أجدك وأنت وجودي؟!

اجعل من قلبي مسكنًا لك ومن نفسي مستقرًا.

كن حافظًا لشفتي فأنت رجائي.

بُعدك عني هوانٌ بل موتٌ.

إن أذكرك تحيا نفسي ... ظهورك لي شبع لروحي ... ابتعادك حزن وتنهد لقلبي.

إلهي ... متى ألتقي بك في ملكوتك؟

متى أراك وجهًا لوجه؟

حياتي ومسرتي أنت، لماذا تحجب وجهك عني؟

أنت سعادة قلبي، لماذا تتباعد؟

رب الجمال ... مشتهى نفسي ... مطمع فؤادي ... ما أطيب رائحتك، إنها نشوة حياتي.

" الإنسان لا يَراني ويَعيش " (خروج ٣٣ - ٢٠).

لو علمت بهذا التحذير فلن أراك.

لأمت يا سيد لأراك ... وأراك وأموت.

لا أريد الحياة ... أريد الموت.

" لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح " (في ١ - ٢٣).

ليتني أموت لأراه ... لن يطيب لي العيش إلا مع المسيح.

إلهي ... تسلّم نفسي.

أنت مسرتي، لك قلبي ... أنت غذاء روحي، فأطعمني.

أيها الرب إله القوات تولّى قيادة نفسي.

يا ضياء عيني، أضيء حياتي.

أيها النغم العذب نسق كل شيء فيَّ.

أيها العطر الإلهي أنعشني.

يا كلمة اللّه ثبتني ... فرِّح قلب عبدك.

أدخل هذه النفس إلى رحابك لتتذوق حلو مذاقك لأن حلاوتك لن تنتهي.

أفِضْ عليها من أضوائك أيها النور الدائم فتعرفك وتفهمك وتعشقك.

كيف تحبك نفسي وهيَ في فتور من نحوك، بعيدة عن معرفتك، ممتنعة عن فهمك، عاجزة عن إدراكك ... بالرغم من أشعاع أنوارك!

" النور يُضيء في الظُلمة، والظُلمة لم تُدركه " (يو ١ – ٥).

يا ضياء كل نفس ... الحق الساطع ... النور الحقيقي الذي يضيء كل إنسان أتيًا إلى العالم.

لقد أتى ولم يقبله العالم "لأن محبة العالم عداوة للّه" (يع٤:٤).

بدد يا ربي كل الظلمات التي تسربت إلى أعماق نفسي ... متى تراك وتدركك ... وتعرفك حينما تستقبلك ... وتحبك إذا ما عرفتك؟!

كل مَنْ يعرفك يحبك ... ويحبك أكثر من ذاته ... يترك كل شيء ويتبعك.

إلهي ... ما لم أحبك كما ينبغي فذلك لأنني لم أصل بعد إلى عمق معرفتك.

في قصور معرفتي بك فتور لحبي نحوك، وبالتالي فتور لفرحة قلبي التي ظفرت بها.

وأسفاه! لقد استعبدتني مغريات العالم ... وبعدتني عنك وأنت بهجة قلبي ... لقد حرمتني منك وحدك حتى جعلتني أرتبط بمواثيق زائفة مع تفاهات العالم ...

وفي أوقات شقائي أعطيت هذا القلب - الذي لك حق امتلاكه وحدك، بكل ما فيه من تضحية وحب - كل الأباطيل.

وأصبحت بارتباطي بتلك الأشياء أكثر تفاهة منها ذاتها!

ومن ثَمَّ يا إلهي لم تَعُدْ بهجتي قط، ولم يكن لي صلة بك، فقد صرت رمادًا تذريه الرياح.

الجسد غاية مسرتي أما النفس فهيَ مسرتك.

كل ما يمر بي يستهويه قلبي ... يغري ويستبد بخاطري ... يوحي ويسيطر على أقوالي.

أما أنت يا سيدي أزلي لن تتغير.

تملك في سمائك أما أنا فأنحدر إلى التراب.

أنت سماوي أما أنا فأرضيٌّ.

تُرى متى يتلاقى "الأضداد" الأرضي مع السماوي؟!

شقاء الإنسان

إلهي ... متى يستقيم عوج طبيعتي على نهج صلاحك لأقترب من كمالك؟!

الوحدة، السكون، الحق، الطهارة ... كلها يا سيدي مستحبة لديك.

الجموع، الضوضاء، الكذب، الحسد مكرمة عندي.

ماذا أزيد على ذلك.

أنت محب، منَّان، قدوس وعادل.

أما أنا فشرير، محب لذاتي، خاطئ وظالم.

أنت النور، الحياة، الدواء، البهجة والحق المُطلَق.

أما أنا فظلام، موت، مرض وتعاسة تفاهة مُطلَقة كسائر البشر.

إلهي ...أي لسان يربطني بك ... تفضّل واسمعني:

أنا جبلتك. مُنذَر بالضياع، مخلوق وأموت.

أنا صنيع يديك، مآلي إلى العدم، بك أحيا.

ذراعاك اللتان صنعتاني وجبلتاني.

يداك اللتان سُمِّرتا على الصليب من أجلي.

أتزدري يا ربي عمل يديك؟ أنظر إلى جراحاتهما العميقة.

على يديك كتبت اسمي ... فاقرأ عليهما ما سطرته وأنقذني.

إنها خلقتك التي تتنهد وتفزع إليك لتصنع منها خليقة جديدة.

الطين الذي صنعته بيديك يتوسّل إليك ضارعًا مستصرخًا.

فأحيي هذا الطين لأنك أنت الحياة.

إلهي ... رُد له صورته الأولى وبهاءها.

عفوًا يا إلهي ... إن كانت أيامي، وهيَ لا تذكر، تسمح لنفسها بأن تناجيك.

من هو الإنسان الذي يتجاسر ويخاطبك!؟

اغفر لي يارب جسارتي.

اغفر للعبد الذي يجرؤ ويرفع صوته في وجه سيده.

يدفعني الألم للكلام.

تضطرني الشدة لاستدعاء الطبيب لأني مريض ... أنشد النور لأني كفيف البصر ... والحياة لأني ميت.

هذا الطبيب.

هذه الأنوار.

هذه الحياة.

أليست كلها أنت يا يسوع الناصري؟

ارحمني يا ابن داود ... يا ينبوع الرحمة استمع إلى صلاة المريض.

أنت النور الذي يمر بكل إنسان.

قف قليلاً أمام أعمى، مد إليه يدك ليقترب منك ويبصر النور في أنوارك.

مُرْ ميتًا ليخرج من القبر وتدب فيه الحياة من جديد.

من أنا يا سيد لأرفع إليك صلاتي؟!

ويلي ما لم تُحطِّم في نفسي الغرور والكبرياء.

إني جثة فاسدة ومرعى للديدان.

عفونة ومأكل للنار.

" **الإنسان مولود المرأة، قليل الأيام وشبعانُ تعبًا** " (أي ١٤ – ١).

إنسان هو والتفاهة سواء بسواء.

" **إنسان في كرامةٍ ولا يفهم يشبه البهائم التي تُباد** " (مز ٤٩ – ٢٠).

ألست أيضًا هوة تحنقها الظلمة، أرضًا ملعونة، طفلاً أحمق، إناء مذلة، نسل الخطية، حياة مزيجًا من صنوف الألم ... فمتى تنتهي تلك الحياة بشدائدها؟

يا لتعاستي! الشقاء نصيبي فكيف يكون مصيري؟

كيف دخلت الحياة وكيف أخرج منها؟ ذلك ما أجهله؟

تعيس وميت. أرى أيامي تمر كظل.

حياتي تضمحل كالسحاب الذي يحجب ضوء القمر ثم يتفرق.

كزهرة على عودها تذبل وتجف قبل أن تتفتح.

يا لها من حياة فانية سريعة الزوال!!

حياة لا أمان لها.

تقسو ولا تشفق، تسحق ولا تترفق.

ضحكاتها بكاء.

نعيمها شقاء.

بهجتها حسرات.

شهواتها لحظات.

أي عزيز لم تذله؟

أي صحيح لو توجعه؟

أي هناء لن تمحوه؟

أي حي لن يموت؟

إن اضطرابًا مفاجئًا قد يضع نهاية لحياتنا.

وإن ما يزيد نهايتنا تعاسة هو أنه رغم موتنا الأكيد نجهل تمامًا ساعة موتنا.

تلك الساعة تأتي حينما لا نتوقّعها لتنزع منا حياتنا وتقضي على خططنا وآمالنا.

هل يعلم الإنسان شيئًا عن كيفية موته؟ وفي أي زمان أو مكان يموت؟ ورغمًا عن ذلك نعلم أننا سنموت.

هذه يا سيدي المأساة الكبرى للإنسان.

إنها مأساتي ولا أرهبها!

غاصت نفسي في لجة الآلام ولم أتوجّع ولم أطلق صراخ الشدة نحوك!

إلهي ... سأصرخ قبل فنائي أو بالحري لكيلا أهلك وأحيا في مسكنك.

استجب لي إذن فأُحدِّثك عن شقائي وأعترف لك دون خجلٍ بتفاهتي.

أسرع لنجدتي فأنت قوتي، معيني، صلاحي وملجأي.

تعال أيها النور لأنه بدونك لا أرى شيئًا.

اقترب أيها المجد اللانهائي فأنت سعادتي. أظهِر لي ذاتك فتحيا نفسي.

موت الخطية

إلهي ... إن حرماني من أنوارك يفضي إلى الموت أو بالحري إلى العدم.

وليس الموت بشيء في حد ذاته ولكنه موت للروح بفعل الخطية.

أخطاؤنا تجرفنا بقوة كماء ينصب في منحدر. ونلنا عقابًا عادلاً جزاء ما اقترفنا.

ومادام حقًا يا إلهي أنه بدونك لم يكن للحياة وجود ... فما من شك أن الخطية تدمِّرنا ... وتدمِّرنا لأنها تفصلنا عنك أنت يا أصل الخليقة وعِلة الوجود!

يا كلمة اللَّه.

يا سيد الكل.

بك كل شيء كان، وبدونك لم يكن شيء مما كان.

يا لشقائي! فالظلمات كثيرًا ما اكتنفتني وأنت النور ولم أهتَدِ.

ويلٌ لي ... فما أكثر الحماقات التي ارتكبتها.

وأنت الحقيقية ولم أطلب مشورتك.

وأنت الطريق وضللت طريقي زمنًا ومِلْتُ عن طريقك.

ويلٌ لي ... فقد ضربني الموت بضربات متعددة وأنت الحياة وكنت ميتًا بانفصالي عنك.

ويلٌ لي ... فقد أصبِت بجراحات كثيرة وكنت أنت سلامي وتهاونت.

ويلٌ لي ... فإني كثيرًا ما ارتميت في أحضان الشر وما فيها من هلاك واستسلمت.

أنت الطريق والحق والحياة. بددت الظلمة وكسرت شوكة الموت.

أيها النور بدونك تخوض كل الأشياء في الظلمات.

أيها الطريق كل من حاد عنه ضلّ سبيله.

أنت الحقيقة وكل من يتوارى عنها لا يجد إلا الرياء.

أنت الحياة وبدونك يجتاح الموت كل مكان.

ردِّدْ هذه الكلمة. ليكن نور.

لأرى النور وأبتعد عن الظلمة.

لأُبصِر الطريق وأتجنب الطرق الملتوية.

لأرى الحقيقة وأنأى عن الباطل.

لأرى الحياة وأنجو من الموت.

إلهي، أضيء حياتي فأنت نوري، إلهامي وسلامي.

أمجدك يا إلهي. أُحبك يا أبي.

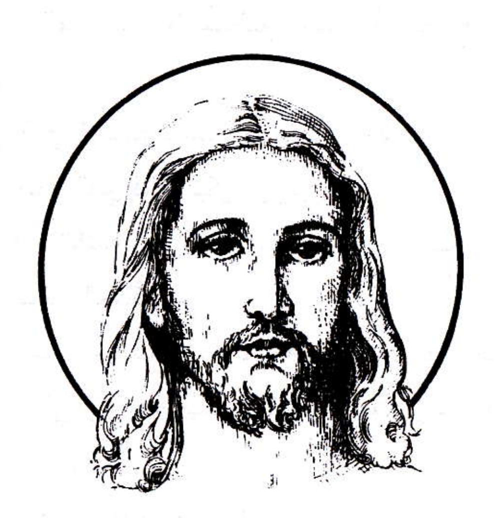
أطيعك إطاعة العروس لعريسها.

اغفر لي فإني أخشى عدلك.

أيها النور واهب الخيرات، أسرِعْ لتهب النور لمن لا يبصر فتستميله إليك ... فالظلام يحيط به وظلام الموت يخنقه.

أرشِده إلى طريق السلام، طريق مائدتك إلى مسكنك الدائم.

أنت وحدك طريق الحياة بلا جدال.



النور الحقيقي

أيها النور غير المنظور.

مصدر الأنوار. مبعث الأضواء.

النور الذي تتلاشى أمامه كل أنوار صنعتها يداك.

النور الذي منه تستمد الأنوار نورها.

الضياء الذي منه تأخذ الأضواء ضوءها.

النور الذي يبدد الظلام ويضيء العتمة.

النور الإلهي الذي لا تستطيع السحب أن تُغطيه ولا الغمام أن يلفه.

النور الذي لا يستره ستار ولا تظلله ظلال.

أيها الكلمة الذي قال: ليكن نور.

ردِّدْ هذه الكلمة الآن أيضًا ... لأن بعيدًا عن أضوائك الحقيقية تختفي الحقيقة ...

ليتني أبصر مجدك لأتبيّن حقيقة ضعفي وحقيقة أنوارك.

اشتد جهلي وامتد طغياني فلا تغفل عني وأنت وحدك الصلاح والعدل.

أنت عزاء كل نفس حطّمها الحزن واستبد بها اليأس.

أنت تاج الرجاء الذي يعصب جباه الظافرين المنتصرين.

النور الكاره لكل خطية لأنك قدوس وطاهر.

فأين القلب الذي جعلت منه هيكلاً ومسكنًا محببًا إليك؟!

إذا انفصلتُ عنك فلن تصادفني إلا ضيقات ومتاعب.

وما لم تكن أنت سعادتي فباطل غنى العالم.

وفي وحشية وضراوة، مزقت شهواتي الجسدية بحرابها المسمومة، وحدة القلب القائمة بيننا، ثم نثرت أشلاءها على سائر الملذات.

وانغمستُ أنا في الشهوات ولكن شهوة واحدة لم تملأ قلبي.

أنت صالح، محب وقلبك لن يتغير.

من يتبعك لا يضل طريقه ولا يخيب ظنه.

من يملكك ينل مشتهاه.

إن أميال قلبي تصرفني عن أن أميل إليك فأمالتني الهموم والأوجاع.

عندئذ صرخت إلى الحياة وهتفت.

أنا الهدم.

أما أنت يا إلهي فأجبتني بصوت احساناتك وقلت.

"أنا البناء".

أما نفسي العمياء فانقادت للموت ولم تشته الحياة.

وأصبحت عليلاً.

واتجهت إليك أيها الطبيب أتوسل من نعمك واحساناتك ألا تهملني.

لأنك خلقتني وكونتني.

وكنت بعيدًا عنك فقربتني.

وكنت ميتًا فأحييتني بموتك ورفعت قدري وارتديت ثوب فنائي.

أيها المالك إلى الأبد. أخليت ذاتك وأخذت شكل العبد!!

سلمت نفسك بإرادتك لأجل خلاصي، أما أنا ففي عناد وإصرار بعت نفسي للخطية.

أما أنت فأسرعت إليَّ لتمزق صك الموت.

حررتني من العبودية ونجوت أنا من العذاب الأبدي.

دعوتني باسمك. ودفعتني بدمك علامة أبدية.

من أجلي احتملت عذبات الصليب طوعًا لا كرهًا.

عرضت نفسي للهلاك وكنت أنت منقذ لي.

وضعت حدًا لطغياني. شددتني وقويت عزيمتي.

فرجت كربتي وهديتني.

استجبت لكل صلاة من أجلي.

سمعت صوت تضرعي.

إنه بعض من احساناتك.

أنت وحدك المُمجَّد

عظيم أنت يا ربي قوي وقدير.

خلقت فأبدعت.

بنسمة منك صار التراب نفسًا حية.

رحيم على خليقتك عادل في مجازاتك.

خدعتني نفسي وقالت أنت غني عن إلهي بك.

وتجاهلت أني مسكين، أعمى، عريان، بائس بلا حنو ولا شفقة.

وغررت بي نفسي فادعيتُ الحكمة.

وحاولتُ كبح شهواتي فجمحتُ.

ملكني كبريائي. وتشامختُ فابتعدتُ عنك.

وسرتُ في طريقي وحدي فسقطت.

حينئذ أدركت ضعفي واعترفت بتفاهتي.

وصرخت ...! فمددت لي يدك وانتشلتني.

الخير من طبيعتك.

أما الشر فمن صنع البشر.

كل ما أعطيتني من مواهب فهيَ من احساناتك فلا أجعلها تمجدني بل تمجدك.

فبأي شيء يتمجّد الإنسان؟!

أبالشر الذي يفعله؟!

أم بالخير الذي لم يصنعه!

إلهي. لك وحدك ينبغي المجد والكرامة.

من يقبل تمجيدًا من إنسان فلن يسانده أمام العادل الديان.

لا تدعني أتمجد فالمجد لك وحدك.

إلهي، امتدت رحمتك ومحبتك إلى كل الأرض. أفلا تترفق على ما جبلته يداك؟

أشركتنا في أمجادك وأفضت علينا من نعمك احساناتك.

أشبعت الفقراء من غنى محبتك.

ها نحن المعوزين من أولادك.

خراف قطيعك الصغير.

افتح لنا أبوابك ليدخل الفقراء الذين أحببتهم ليرووا ظمأهم من ينابيع مائدتك ويمجدونك.

من يفتقر إلى غناك تغنيه.

من يتعالى عليك بعدم الخيرات.

إلهي، أعترف لك بأني فساد.

ظل الموت.

ظلام داكن.

أرض الجحود والنكران.

تربة لا تُنبِت إلا الخزي والعار.

ثمارها الخطية والموت.

إلهي، أغضبتك وعفوت.

أخطأت إليك وغفرت.

تعديت وصاياك وتسامحت.

كنت على حافة الهاوية ولنجدتي أسرعت.

كم من مرة حطمت شباك الخطاة.

وقضيت على أسباب الخطية وبواعثها!

ولولا سهرك ورعايتك لأهلكتني شروري.

أحاطت بي سهام الشر وكنت الدرع الواقي فارتد كل سهم وانكسر.

كل من يسير في النور لا يعثر.

إلهي عطشت إليك نفسي

كما أن قطعان الوعل تندفع نحو جداول المياه العذبة لتروي ظمأها... هكذا نفسي متعطشة إليك يا إلهي لتطفئ لهيب أشواقها.

نعم ...إن نفسي ظمأى إليك يا ينبوع الحياة الدائم ... متى تسكرني نشوة عذوبتك!

متى أرحل عن أرض قفرة مجدبة لأتأمل قدرتك وجلالك وأرتوي من مياه رحمتك!

عطشت يا ربي.

عطشت يا إلهي.

متى أذهب إليك وأدنو منك!

متى تسعد نفسي بهذا اليوم يوم الفرحة واللقاء الذي صنعه الرب ليكون شهادة لنصرتي!

يوم مشرق لا يميل نهاره ولا تغرب شمسه ... هناك يدعوني صوت ينبعث من قلب رحيم مفعم بالحب قائلاً: أدخل إلى فرح سيدك (متى٢٥) إلى النعيم الخالد في هذا المسكن الدائم لإلهك حيث تتجلى آيات قدرته وعظمته.

أدخل إلى فرح حقيقي تغمره السعادة الحقيقية ويطغي الخير على الشر ولا يتحالفان.

حياة هرب منها الحزن والكآبة والتنهد.

يا مسرة المسرات متى أدخل إلى مسكن راحتي!

"أمِيلُ الآن لأنظر هذا المنظر العظيم" (خر٣-٣).

من الذي أمسكني عنك!

إني لم أعتق بعد.

إلى متى أنتظر لأراك!

ما سر انتظاري وأنت مقصدي!

ننتظر مخلصنا الذي صالحنا الآن في جسم بشريته الممجد (كو١:٢١- ٢٢) ننتظر عودته من العُرسِ لكي يدعونا إلى وليمته.

إلهي تعال ولا تتباطأ.

تعال واحمل إلينا سلامك.

حرِّرْ نفوسنا لنتذوق حلاوة وجودك.

يا رجاء الأمم ومشتهى الشعوب أرِنا وجهك فنخلص.

يا ضياء خلاصي تعال وخلِّص نفسي فتعترف باسمك المستوجب كل تسبيح.

سأظل من أجل شقائي المضطرب وسط أمواج فنائي رافعًا إليك صوت تضرعي.

ليتك يا ربي تسمع منى صراخات الأسى حتى أبلغ ميناء السلام.

طوبى لمن لا تتزعج قلوبهم ولا تخشى العواصف الهوجاء. الذين استحقوا أن يجدوا عندك أمنهم وسلامهم يا صخرة خلاصي التي تتكسر عندها الأمواج.

طوبى للذين في الحقيقة قد اجتازوا البحر إلى البر ... وغادروا المنفى إلى الوطن.. وخرجوا من السجن إلى السماء.

إنهم يستمتعون بلذة الراحة المنشودة.

سعداء هم الذين تخطّوا الشرور ... ولم يجردوا أنفسهم من الثياب التي خلعها عليهم السيد المسيح في ملكوته الأبدي الممجد.

سلامك يسمو كل عاطفة.

تُسبّح الملائكة في أنوارك وقد انعكس على جباههم ضياء الفرح والابتهاج.

لا أنين ولا نواح.

لا خصام ولا عداء.

تملك الملائكة معك يا اللّه.

أنوارك وشاح لهم من بهاء كرداءٍ ملوكي.

تيجانهم مرصّعة باللآلئ من نور لا ينطفئ بريقها.

يا عزاء القديسين وإكليل مجدهم.

في ديارك نعيم دائم.

أنوار ولا ظلام.

سعادة ولا شقاء.

سلامة ولا ألم.

حركة بلا عناء.

خير ولا شر.

حياة ولا موت.

الحب عندك لا يفتر.

الجمال لا يذبل.

القوة لا تقهر.

النصرة لا تخذل.

طوبى لمن يجتاز في سلام بحر هذا العالم المتلاطم الأمواج.

ولكن هل نستطيع أن نقود سفينتنا وحدنا إلى بر الطمأنينة والأمان؟

إن بَعدنا عن مينائك يا ربي هبت الرياح ... ترنّحت بنا السفينة ... تقاذفتها الأمواج ... وفغرت المياه أفواهها لتبتلعنا

... إن وطن الراحة مازال بعيدًا تفصلنا وإياه أميال طوال ... ومن ثم لا نستطيع أن نلوح للوطن ونحييه ونحن في عـرض البحر نعاني الأهوال ... ونذرف الدمع السخين ثمنًا لبلوغه.

ربي يسوع رجاء الجنس البشري.

حصننا وقوتنا ... أنوارك تضيء البحر.

هيجانه وعصيانه ... وتلمع في أعيننا كنجم يهدي سـبيل رحلتنا.

ذراعاك القويتان هما وصليبك دفة حياتنا وخلاصنا توجهنا وتحمينا.

شمس الحق تضيء كنجم الصباح على شاطئ الوطن وأنت في لقائنا.

نضرع إليك وباسم الخلاص، ألا يفوتك، أننا كنا مبيعـين وبدمك الكريم اقتنيتنا وصالحتنا.

استمع إلينا يا إله السلام ورجاء كل الأرض وكل شواطئ البحار البعيدة.

نجّنا ومجّد اسمك لتبلغ سفينتنا ميناء الخلاص.